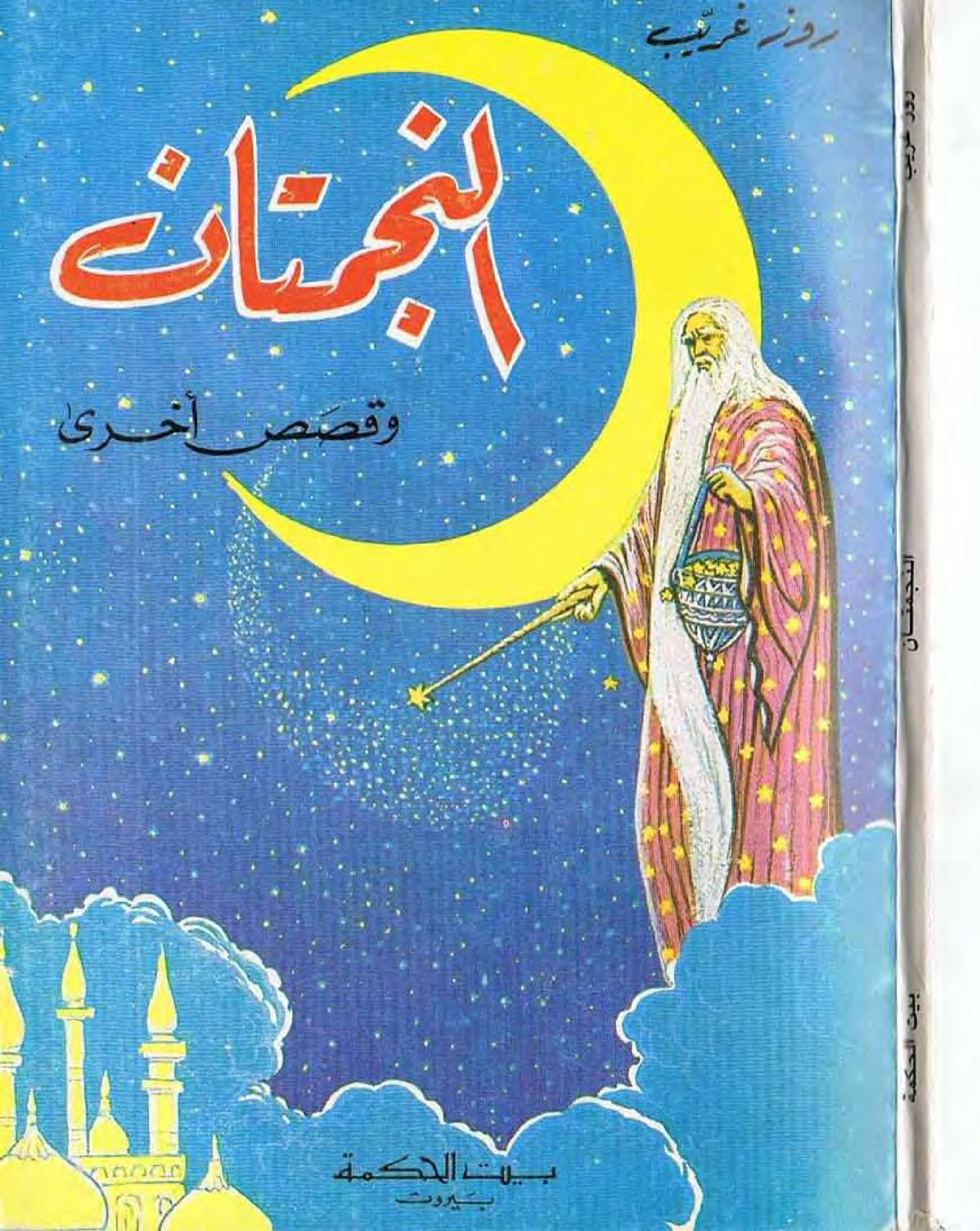


روز غريب النجمتان بيت الحكمة

منشوراتنا القصصيّة

روز غريّب

النَجمَتان

وَقصَص أخرى

بيت الحكمة
بيروت

الغلاف والرسوم بريشة « زكريا كايا »

الطبعة الثامنة، بيروت – لبنان، ايلول (سبتمبر) ١٩٩٦

عافاكِ ! عافاكِ !

ـ ما أكبرَ هذه السمكةَ !

قالت « رابحة » لزوجها الصَّيَّاد « شاهين » .

ـ مِن زمان ما جئتَ بمثلِها !

ـ أسعفَني الحظُّ هذه المرَّةَ ، أجاب الزَّوج. إكتشفتُ ناحية من الشاطىء يَكثر فيها السمك الكبير. صِدتُ منه عشر سمكات بِعتُها ، وعُدت إليكِ بأكبرِها حجماً لتصنعي منها عَشاءً لنا وللأولاد .

وقفَتْ « رابحة » تتأمّل السمكة باندهاش . ما أشبهَها بالحوت الكبير ، أو بالمركَب الذي يشقُّ

الأمواج ، وهذه الزعانف تقوم لها مقام المجاذيف . وخطرَتْ لها فكرة فقالت لزوجها :

ـ إنّها سمكةٌ تَليق بالملوك ... خُـذها إلى المَلِك فيُعطيك ثمنها نقوداً كثيرة نشتري بها ما يكفينا مَؤُونة شهر .

ـ صدقتِ ، قال « شاهين » . ها أنا عامل بنصيحتك .

قال هذا وحمل السمكة ودخل على الملك . فرآه جالساً على عرشـه الذهبيّ يداعب لِحيته مسروراً . فأمَّل خيراً وقال :

ـ جئتُك بسمكة تَصلُح طعاماً للملوك .

نظر الملك إلى السمكة معجَباً بطُولها وعَرضِها ، ثم صفّق بيديه فجاء الخادم وحملها إلى المطبخ .

والتفت إلى الصيَّاد فرآه ما زال واقفاً ينتظر ، فابتسم له ابتسامةَ استحسان وقال مشيراً بيده :



الصيّاد يقدّم السمكة الى الملك

ـ عافاكَ يا صيَّاد .

وأمره بالانصراف .

حين عاد « شاهين » إلى البيت كانت زوجته تنتظره متلهّفة . ولمّا رأته ساكتاً منكّس الرأس سألته :

ـ ماذا قبضتَ ثمن السمكة ؟

فأجابها :

ـ لا شيء . لا شيء سوى كلمة « عافاك » .

لم تَفُهِ المرأة بكلمة . أعجبها من زوجها امتناعُه عن عبـارات الغَضب والشتيمة . فقامت تلملم من فضلاتِ طعام النهار ما هيَّأت منه عَشاءً للأُسرة .

في اليوم التالي جاء « شاهين » إلى البيت بسمكة أكبرَ من الأولى ، طالباً من زوجته أن تهيِّئها للعَشاء . لكنّ الزوجة قالت :

ـ لو كنتُ مكانك لجرّبتُ حظّي مرّة ثانية مع الملك . عندنا ما نأكله الليلة ، فاسمع منّي واحمِلْ إليه هذه السمكة الفاخرة ، لعلّه يخجل هـذه المرّة ويُعطيك ثمنها .

عمِلَ الرجل بنصيحة زوجته . لكنّ نصيبه كان الإخفاق هـذه المرّة أيضاً ، ولم يَنلْ من الملك

سوى « عافاك » مرّتين .

وحين عاد إلى البيت في اليوم التالي ومعه سمكةٌ أعظم حجماً من سابقَتَيها ، قال لزوجته :

ـ خذيها يا « رابحة » واجعلي منها عشاءنا ، ولا تحاولي إرسالي إلى الملك هذه المرّة أيضاً .

لكنّ « رابحة » قالت بعد صمتٍ قصير :

ـ إسمع يا رجل . إسمح لي أن أحمل السمكة أنا إلى الملك لعلّي أكون أفضل منك حظّاً ، فيُعجَب بجسارتي ويُعطيني النقود التي منعها عنك .

*

لبِسَت المرأة ثوباً كانت تحتفظ به لأيّام الأعياد . لفّتْ شعرها بمنديل ، وحملتِ السمكة إلى الملِك ، ثم وقفت تنتظر .

لكنّ الملك اكتفى بإظهار تعجُّبه من ضخامة السمكة ورَوعة منظرها ، فقال :

ــ لم أرَ في حياتي سمكة بهذا الحجم .

ومدَّ يده مُشيراً إشارةَ الاستحسان ، ثم قال للمرأة :

ــ عافاكِ ، عافاكِ ، عافاكِ .

رَجعت المرأة إلى بيتها خائبة . وجلسَتْ تفكّر ، هي وزوجها ، في بخل الملِك وسُخريّته منها . وخطرَ لهما بعد تفكير أن يرفعا شكواهما إلى رجال الشرطة ، لعلّهم يُسعفونهما على تحصيل ثمن السمكات . لكنّ الرجل قال إنّ رجال الشرطة موظّفون عند الملك ، ولا يُمكنهم مطالبتُه بدفع ديونه .

في الصباح لبسَت « رابحة » ثوباً قديماً . وحملَت كيساً كبيراً وذهبَت إلى السُوق . زارت أوّلاً دُكّان

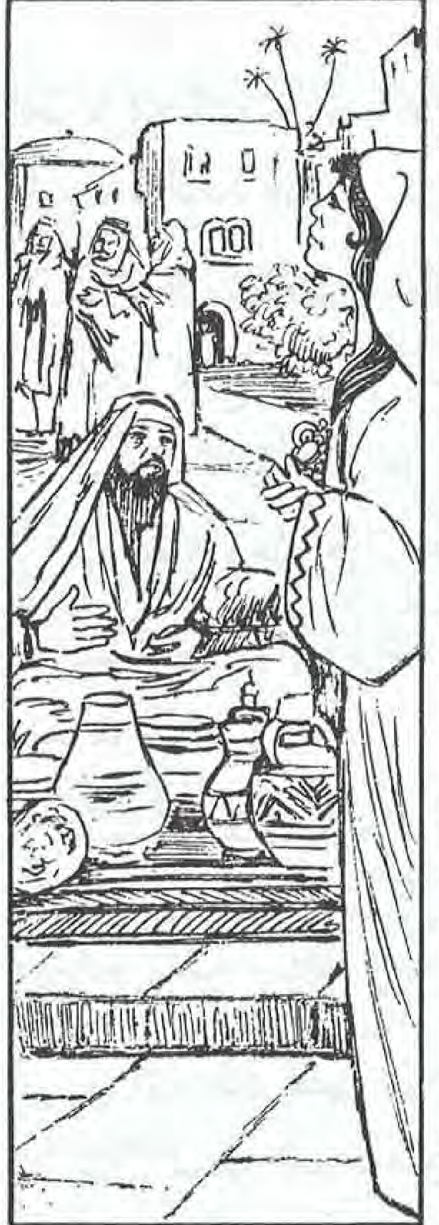
البقال واشترت من الباذنجان والكوسى والبندورة ما ملأ كيسها . وسألتِ البائع عن الثمن فقال :

ــ ليرتان .

فمدَّت يدها نحوه متظاهرة بأنّها تريد دفع الثمن ، وقالت :

ــ عافاك عافاك. وخرجت راكضة ، تاركة البائعَ مبهوتاً حائراً .

مالت إلى دكّان القصّاب فاشترت من



امرأة الصيّاد في السوق

اللحم ما ثمنُه ثلاث ليرات . ثم مدّت يدها تريد دفع النقود ، واكتفت بقولها :

ـ عافاكِ ، عافاكِ ، عافاكِ .

لكنّ البائع قبض على يدها وصاح :

ـ هاتي النقودَ . أين هي ؟

ـ النقود ؟ هذه هي : عافاكِ عافاكِ عافاكِ .

ـ أتهزئين بي يا امرأة ؟ صاح البائع غاضباً . أُريد نقوداً !

ـ ولكنّ هـذه نقود الملك ، قالت « رابحة » بهدوء . هذه عِمْلتُه الجديدة . وإن لم تصدّقني تعالَ نحتكِمْ إليه . قصرُه هنا ، على بُعد رَمْيَة حجر .

في أثناء ذلك تجمهر حول المرأة والقصّاب جماعةٌ من المارّة سمعوا الصياح ، وكان بينهم البقّال الذي اشترت منه « رابحة » الخضار . فحاولوا إرغامها على

تسديد دَينها أو على ردّ ما ابتاعته . لكنّ « رابحة » جابَهَتْهم بقولها :

ـ هذه نقود الملك ، هذه عِملتُه الجديدة . إنْ لم تقبلوها فأقلُّ عقاب ينتظركم هو السجن .

أخذ المتجمهرون يهزّون رؤوسهم ضاحكين . منهم مَن قال إنّ المرأة مجنونة ، والآخرون قالوا إنّها محتالة . وفيما هم كذلك إذ أقبلَ رجال الشُرطة يستطلعون الخبر .

ولمّا عرفوا ما حدث ساقوا المرأة إلى قصر الملك ، ومعها البقّال والقصّاب .

وقف الثلاثة في حضرة الملك ، فسألهم هذا عمّا يريدون . فقال القصّاب :

ـ هذه المرأة تشتري من السوق بضاعة تدفع ثمنها كلمة « عافاكِ » ، وتزعم أنّها عملة جديدة أنزلها

الملك إلى السوق ، والويل لمن يرفض قبولها !

أطرَق الملِك برهةً يفكّر ، ثم رفع رأسه وقال مبتسماً :

ـــ مِن واجب الملِك أن يَسهر على راحة الشعب ويسعى لحَلّ مشاكلهم . دَعوني أستطلِع خبر هذه المرأة وأنظر في أمرها . لكن ، قبل انصرافكم ، أريد أن أفي ما عليها من دَين .

تقدَّم إلى الملِك كلٌّ من القصّاب والبقّال فتناول نقوده شاكراً وانصرف . وبقيَت المرأة وحدَها أمام الملِك ، فقال هذا :

ـــ عافاكِ يا « رابحة » . خذي هذه الصُرّة من النقود جزاء ذكائكِ . وإذا أرسلتِ إليّ سمكاً في مرّة أخرى فلا تَنسَي مطالبتي بثمنه !

الجزيرة المسحورة

تثاءب الأمير « ناجِل » في سريره الواسع ، وتَمطّى باسطاً ذِراعَيه ، ثم فتَح عينيه للنُور الذي تسلَّل إليه من النافذة الوحيدة في غرفة النوم .

نعم . نافذةٌ وحيدة . لأنّ أمّه وأباه كانا يخافان عليه من الشمس والهواء ، من اللصوص والحشرات . مرّةً دبّت إلى فِراشِه نملةٌ كبيرة من النافذة الغربيّة وقرَصته في ذراعه اليُسرى ، فعمد والده إلى سدّ النافذة بالحجارة وتكْلِيس الجدار . ومرّةً أخرى صوّبتْ نحوه الشمس أشعّتها من النافذة الشماليّة ،

فاحمرَّ خدُّه وتندَّى جبينه بالعَرق ، فما كان من أمّه إلاّ أنْ أسدلت على النافذة ستاراً كثيفاً متعدِّدَ الطبقات ، يمنع دخول الشمس والهواء . وحين سمع والداه بأنَّ لصوصاً أخذوا يرتادون تلك الناحية ، محاولينَ الخطفَ والسرقة ، ضربا نطاقاً حول غرفة الصبيّ ، فصارت شبهَ قلعة حصينة يعجز عن اقتحامها اللصوصُ والخاطفون .

أحسَّ الأمير بضيقٍ في صدرِه وارتخاءٍ في عضلاته. أخذ يتقلَّب فوق وسائدِه الحريريّة ويراجع ذكرياتِ الأمس . كان اليوم الفائت عيد ميلاده السابعَ عشر . وكانت أمّه قبل وفاتها أوصته بأن يحتفل في هذا اليوم بالذات بعَقدِ قِرانه على الأميرة « لالا » ، التي تَصغره بسنة واحدة .

ــ إنّها تناسبك في السنّ والمقام ، قالت الأمّ .

ومن المناسب أن تكون الزوجة دون الزوجِ سِنّاً . فأبوك يكبرني بثلاث سنوات .

ولم يفهم « ناجل » سبباً لهذا القانون . فقد كان يُحِبّ أخت « لالا » : « رانا » ، التي تكبُره بسَنةٍ واحدة ، وهي الآن زوجةُ أمير كبير السنّ ، تُقيم معه في بلاد بعيدة . قال أهلها : « لأنّه كبير السنّ يستطيع أن يدلّلها ويُورِثَها أمواله » . وكانت « رانا » سهلة الانقياد كالنعجة ، أطاعت أهلها ومزّقت قلبها . إنّه يَرثي لها ويمقُت أهلها .

أمّا « لالا » فهي فتاةٌ لَعُوب ، ذاتُ كِبْرٍ وعنادٍ ، وَلوعٌ بالقَفز والركْض وتسلُّق الصخور كالمِعزاة . وقد فاجأته بطلبٍ يدلّ على غرابة أطوارها : حين عَرض عليها الزواج ، بعد أن فرغَت يدُه من أختها ، قالت إنّها تتزوّجه إذا أسكنها في الجزيرة المسحورة .

— وما هي الجزيرةُ المسحورة يا « لا لا » ؟

— هي جزيرة أنهارُها من بلّور . في سمائها أقمار من فضّة ، وشموس من زُمُرُّد وياقوت ، وثريّات لؤلؤ ومَرجان .

— أين أجد هذه الجزيرة ؟

— لا أدري . يجب أن تسعى لاكتشافها .

لماذا تفرض عليه « لالا » هذا الشرطَ الغريب ؟ لعلّها لا تدري أنّه أمير فقير الحال ، لم يترك له والداه سوى ثروة ضئيلة . أم لعلّها تُريد إفهامه أنّها لا ترضى بسوى أمير واسع الثروة ، يملِكُ الذهب والجواهر قناطيرَ ؟.. وحين أفضى بحديثها إلى البستانيّ الشيخ الذي يكاد يبلغ مئةً من السنين قال البستانيّ :

— إسمُها « لالا » ؟ إسمٌ مشؤوم !..

★

هاجمتْه هذه الأفكارُ برهةً من الزمن . ثم حوَّل

نظره إلى النافذة التي بجانبه ، فإذا بُرعُمٌ أخضر يُطلّ من وراء القضبان الحديديّة ، يميل يَمْنَةً ويَسْرَةً ، ثم يتحوَّلُ نحو النافذة فيصطدِم بالقُضبان .

شُغِل الأمير بمنظر البرعم الأخضر : متى يتفتَّح ، وما يكون لونُ الزهرة التي تَخرج منه ؟ لم يخطر بباله يوماً أن يزور حديقة القصر الكبيرة ويتفقّد ما فيها من شجَر وزهر .

نهض مسرعاً فلبس ثيابه ونزل إلى الحديقة . أخذ يسرِّح نظره في الأشجار الباسقة والأعشاب النابتة حولها ، وكأنّه يراها لأوّل مرّة في حياته .

ألعين تكِلُّ وتعجز عن بلوغ حدودها ، فتَستقِرُّ على الأشجار التي تَفرُش ظِلالَها على مدى النظر ؛ الأشجار المعَمَّرة التي عايشَتْ جُدُودَه ، فماتوا وبقيَتْ صامدةً تَروي حكاياتِ الماضي ، شامخةً تهزأ بالزمن .

ألأعشاب البرّية : الشوك والقصعين والقُرّاص والهِندَبا ، نمَتْ في جوانب الحديقة نموًّا حرّاً لم تعبث به يد عامل أو بستانيّ . ألبِركَة الكبيرة تكسوها الطحالب وزنابق الماء ، تَفيض مياهُها فتذهب ضياعاً ، غيرَ عابئة بالأزهار التي يكاد يخنقها الشوق إلى الماء .

تقدّم الأمير نحو البِركة . إغترف منها الماء بوعاءٍ رماه بجانبها البستانيُّ الهَرِم الذي لا يفتأ مضطجعاً في كوخه ، لأنّ قدَميه تعجزان عن حَمله . ذهب الأمير بالوعاء الملآن إلى شُجَيرة الورد ذات البرعم الواحد ، المطِلّ عليه من النافذة . أفرغ الماء حول الشجيرة فتراءى له أنّها انتعشَت واهتزَّت نضارةً ، والبرعمُ الوحيد أخذ في الانتفاخ .

متى يتفتّح ؟ ماذا يكون لونُه ؟ لا بُدَّ من الانتظار والاستمتاع بالمفاجأة . عاد إلى نافذته فانتزع

الشّعريّة ، أي الشبكة الحديديّة ، التي تحُول بينه وبين الحديقة ، وجلس ينتظر . لم يمضِ زمن قصير حتى تشقّقت الكِمام الُخضْر ، وبرزت الوُريقات الحمراء القانية من خِلال الشقوق .

ـ آه ما أجملَ لونَها الأحمر الملتهب ! صرخ « ناجل » مبتهجاً .

وقام مسرِعاً يُريد لقاء البستانيّ الهرِم ليحدّثه عن اكتشافه . لكنّ الرجل كان يَغِطّ في النوم . منذ وفاة والدَيِ الأمير لا يفعل شيئاً غيرَ النوم .

ـ مسكين !.. لا فائدة من إيقاظه ، قال « ناجل » . من الآن وصاعداً سأكون أنا البستانيّ .

وصعد إلى غرفته فارتدى ثوباً قديماً مَنْسِيًّا في أحد الصناديق ، ونزَل إلى الحديقة . أخذ في تنظيف مجاري المياه التي طمرتها الأتربةُ والحشائش

والأوراق اليابسة . ثم مال إلى البركة الكبيرة التي ذهبت مياهها ضياعاً، فأدار القِفلَ الحديديّ إلى ناحية اليسار ، فانطلقتِ الميـاه في المجاري وسَقت الأشجار الباسقة وما حولَها من شُجَيرات ونباتاتٍ مختلفةِ الأنواع والأشكال . وللحال ظهرت عليها جميعـاً علامات الانتعاش ، كأنّ يداً سِحريّة لامَستْها . ووقف الأمير يتأمّلها قائلاً : « إنّ المـاء الذي ينصبُّ في الأرض وتشربه الجذور ، يجري كالدم في عروق النبتة . يحمل إليها الغِذاء والرطوبة ، يصعد إلى قلب البرعم فينتفخ ويتفتّق عنه غلافه الأخضر ، ثم يداعِبُ وُرَيقاتِه النورُ والهواء فتزداد تفتُّحاً » .

في اليوم التالي شُغِل الأمير بنَزْع الحواجز والستائر التي سَدّت نوافذ غرفته. وما جاء المساء حتى كان الفَعَلةُ الذين استقدمهم لهذه الغاية قد أنجزوا

إصلاح الغرفة وتهيئتها حسب إشارته . واستلقى « ناجل » على فراشه مُستسلِماً لنوم عميق ، عقيبَ نهار حافِل بالنشاط .

في الصباح ، حين نظر من النافذة المُطِلّة على الحديقة ، استقبله منظرٌ عَجيب : برزتِ الحديقة في حُلّةٍ خضراء زاهية ، واشرأبّت البراعم من خلال شجَيرات الورد والخبّازى والقرَنفُل والأُقحوان .

من ذلك الحين أخذ « ناجل » يقضي أكثر أوقاته في الحديقة . إرتدى ثياب الفلاّحين ، وأخذ يسقي النباتات العطشى ، ينكش الأرض حولها ، يقتلع الأعشاب المؤذية ، يُبيد الحشرات الفاتكة النَهِمَة ، يشذّب الأغصان ، يقطع الأزهار اليابسة ليُخلي مكانها لبراعم جديدة ، يتنقّل في جوانب الحديقة . وأينما سار تنكشف له محاسنُ لم يبصرها من قبل . فارقَه شعورُ

الوَحْدة منذ ألِفَ هذه الكائناتِ العجيبةَ واتّخذ منها رفقاء وأصدقاء .

تجدّدت قواه وأصبحت حواسُّه أشدَّ رهافة . تجذِبُهُ أصوات لم يُعِرْها من قبلُ أيَّ اهتمام، وتلفِته مناظرُ لم يحسَبْ لها أيَّ حساب . يُطرِبه صياح الديك قُبَيل الفجر فيحِسُّ فيه مزيجاً من البهجة والحنان . يَسْحَرُه منظر لآلىء الندى منثورةً فوق الأوراق والأعشاب . يراقب الفراشات المرِحة تجوب الحديقة من جانب إلى آخر بخِفّة الشُعاع . يراعي براعم الورد حين تخرج من أكاليل الأوراق النديّة، كلٌّ منها يُشبه قلباً صغيراً كحبّة الحِمّص، ويصبح بعد قليل بحجم الجوزة ثم يأخذ في النموّ، ويتّسع ويلتفّ ويستدير حتى يَبلغ حجم الكُوب الكبير أو الصُحفة المدوّرة . يلاحِظ الزيزَ الذهبيّ ذا الألوان البرّاقة المتموّجة يَدِبُّ بطيئاً فوق الغُصن أو يجمُد كقطعة زُمُرُّد



الحديقــة

وياقوت، فإذا أراد الطيران بَسط جناحين شفّافَين وَشقّ الهواء بدويّ كدويّ المحرّكات .

لكنّ أطرب الأصوات عنده أصوات العصافير المعشّشة في رؤوس الأشجار القديمة الجبّارة، أشجار النخيل والبَهار والسِنديان . في المساء، حين يُخيِّم السكون،

تنطلق بالتغريد جوقةٌ منها هائلة العدد، تُرسِل ألحاناً متناغمة لا مثيل لها بين الألحان، لأنّها صاعدة من حناجرَ سكرى بالنَغَم، صافيةٍ كوجهِ الطبيعة حين خرَجت من يدِ الصانع العظيم.

وجاء الربيع. إشتعلت الحديقة بالألوان، وفاضت جِواؤها بالعطور. تمايلت الأغصان بين يَدَي النسيم، تلألأت بأنوار الزهر وتدلّت

« لالا » في الحديقة

منها مصابيحُ الثمر. تمازجت ألحانُ الطير بدويّ النّحل وأزيز الصّرّارات.

*

كان الأمير جالساً على مقعد خشبيّ قريب من شُجيرة أُقحُوان تقنَّعَت بِمنديل من الزهر الناصع البياض، بجانبه هِرَّة تشاركه بهجةَ الجلوس في الحديقة، وفي يدِه كتاب يفتحه حيناً ويُغلِقه حيناً آخر ليملأ حواسَّه من محاسن الربيع.

وإذا برسول يقطع عليه حُلمه ليُخبره أنّ الأميرة « لالا » في الباب.

ـ الأميرة « لالا » ؟..

خُيِّل له أنّ هذا الاسم يعود إليه من وادٍ سحيق، من أَرض قَصيَّة تلاشت صورتها في ذهنه ولم يبقَ لها أثر.

ثم أخذ يتذكر . « لالا » التي أرادت منه أن يكتشف لها جزيرة مسحورة ، مرصّعةً أرضُها بالماس والزُمرُّد والياقوت . فقلَب شَفَتَيهِ مستخفًّا ، وعاد يقرأ في كتابه .

وإذا « بلالا » تقِف أمامه ووجهُها يطفح بِشْراً :

ــ هل نسيتَني يا « ناجل » ؟ هل نسيتَ الفتاة التي أردتَها عروساً لك ؟

ــ كانت تلك رغبةَ أمّي ...

ــ لا رغبتك أنت ؟.. هل وجدتَ بديلاً منّي ؟

ــ نعم وجدتُ فتاة لا تطمع في ماس ولا ذهب ولا فِضّة ولا جواهر ...

ــ مَن هي ؟

ــ الحديقة ! إنّها أجمل ما رأت عينايَ !

أدارتِ الفتاة في ما حولَها عينَين مبهورتَين ، ثم قالت :

ــ لكنّ الحديقة هي الجزيرة المسحورة التي أنهارُها من بلّور ، وعناقيدها من لؤلؤ ، وأقمارها من ذهب ، وشموسها من زمرُّد وياقوت . ألا ترى فيها تحقيقَ حُلمي ؟

أطرق الأمير برهة ، ثم قال :

ــ أنت فتاة مُترَفة ، لا تعرفين شيئاً من مفاتن الحياة مع الطبيعة . تعيشين بين الوسائد الحريريّة وحولك الجواري والخدَم ... حتى اسمُكِ ، «لالا» ، يدلّ على الشموخ والعُجْب ...

ــ أتنسى أنّك دعوتني « المعزاة » لولعي بالرَكض والمَرَح ؟ أنا مثلُك أتوق إلى الخلاص من سجني الذهبيّ . أودُّ الهرَب من حياة الخمول والتصنُّع ، وما فتِئتُ أحلُم بجزيرة مسحورة بعيدة عن أذى الناس واستبداد الأهل . وها قد وجدتُ هنا تلك الجزيرة ...

ـ أحقٌّ ما تقولين ؟

بدتِ الحيرة على وجه الأمير . حوّل نظَره إلى الحديقة ثم إلى الفتاة . ولمَعتْ في ذهنِه خاطرة فقال :

ـ إسمعي يا « لالا » . سأسأل الأقحوانة . جوابي متوقّف على جوابها .

وتناول واحدة من الزهرات البيضاء التي تكسو شُجَيرة الأُقحوان ، وأخذ يُنتِّف وُرَيقاتها واحدةً بعد أخرى وهو يردِّد : « نعم ، لا . نعم ، لا ... » حتى وصل إلى الوُريقة الأخيرة ...

ـ ماذا تقول الأُقحوانة ؟ سألت « لالا » .

ـ تقول : لا .

ـ « لا » تعني « لالا » .

فابتسم « ناجل » وقال :

ـ لقد جُزتِ الامتحان يا « لالا » ! غداً تكونين عروسي ، بشرط أن تلبَسي مثلي ثياب الفلاّحين وتشاركيني العمل في الأرض ، فنعيش معاً في الجزيرة المسحورة .

وهكذا كان .

النَجْمَتَان

حين تغيبُ الشّمس ويَهبِطُ الظلام ، يَخرُجُ من القمر رجلٌ له لِحيةٌ طويلةٌ بيضاءُ كالثلج ، يلبَس رِداءً عليه صُوَرُ نُجومٍ لامعة . يحملُ في يده اليُمنى عصا من ذهب ، وفي يده اليُسرى سلَّةٌ كبيرة من فِضَّة فيها نجومٌ صفراءُ وبيضاء . يَمُدُّ يـ ـده إلى داخل السلَّة فيأخُذُ حَفْنَةَ نجوم ، ويَنثُرُها في سماء الزرقاء . كلُّ نجمة تَلزَم مكانَها مثلَ طِفلةٍ على مَقعَدِ المدرسة ،لأنَّ رَجُلَ القَمر قال لها وهو يُلَوِّح بالعصا :

ـ هُنا مكانُكِ ، لا تُفارقيه !



النجمة « مارا » تحنو على الطفل

ولا تلبث السلّةُ أن تفرَغ، وتمتلئ السماء بالنجوم، فيَجلِسُ رجلُ القمر على مقعد من غيوم، ويستريح. لكنّه يبقى ساهراً طولَ الليلِ، يَحرُسُ النجوم مثل الراعي الذي يحرُس غنَماته.

لكنّ واحدةً منَ النَّجْمات اسمُها « مارا »، صغيرةً، ضئيلةَ النُّور، باهتةَ اللمَعان، لا تُصغي إلى ما يقولهُ رجلُ القمر، بل يحلو لها أن تَهبِط قليلاً قليلاً منَ القُبَّة الزرقاء، وتجتازَ الغيوم، لتقتربَ من الأرض، وتَمُدَّ أذُنيها لتَسمع ما يَجري هناك.

في إحدى الليالي، إذ اقترَبت « مارا » من قِمَّة جبلٍ، سمعَتْ صُراخاً عالياً، صُراخَ طفلٍ صغير ملفوفٍ بأقمشةٍ بيضاء، موضوعٍ في كيسِ نايلون، مُلقى على صخرةٍ من صخور الجبل ورأسُه خارجَ الكيس.

كان هذا الطفلُ ابنَ مَلِكِ المدينة ومَلِكتِها ، قَتَل أباه وأُمّه ماردٌ شرّيرٌ ليَحكُمَ مكانَهما . وبما أنّه خاف أن يَكبَرَ الطِفلُ ويَقتُلَه لينتقِمَ لأبيه وأُمّه ، رماه على صخرةٍ في الجبل لكي يموتَ من الجوع .

حين سَمِعت « مارا » صُراخ الطفل لبِسَت ثيابَ مَلاكٍ وجاءت إليه . وضعَتْه في حِضنِها وسقَته حليبَ عَنْزةٍ تعيشُ في إحدى مغارات الجبَل . أَحبَّته وصارت له أُمّاً . وأخذ الطفلُ ينمو حتى صار قادراً على المَشْي . وكان يُحِبُّ « مارا » ويدعوها أُمّه ، وعاشا سعيدَين في تلك البُقعةِ الخضراء .

لكنَّ شابّاً من أقرباء المِلك والمِلكة ، اللَّذين قتلَهُما الحاكمُ الجديد ، هبَّ للانتقام ، وأخذ يُحرِّضُ أهلَ المدينة على مُقاتَلته . واشتعلت نار الحرب بين

جنود المارد وجنودِ الشابِّ الذي كان قريباً للملك والمِلكة . قام القتالُ في الشوارع ، لمعتِ السيوف وتطايرت الرؤوس ، كَثُر الموت والعَويل ، وغرقتِ المدينةُ في بحرٍ من الدماء !

خافت « مارا » على الولد الصغير أن يُقتَل . فلفَّته في قماشٍ دافىء ، وحمَلَته وطارت به إلى السماء . وهناك عادت إلى حالتِها الأُولى ، وصارت نجمةً تلمع أكثر من باقي النجوم .

ولقِيَها رجلُ القمر فسألها :

ــ أين كنت يا « مارا » ؟ ماذا حدث لكِ ؟ من أين جاءك هذا اللَّمعانُ ؟

قالت :

ــ قمتُ برِحلةٍ إلى الأَرض . عمِلت عملاً

جميلاً صالحاً . لهٰذا تراني أشدَّ لمعاناً وأبهى مَنظَراً .

قال رجل القمر وهو يُداعب لحيته الطويلة :

ــ ماذا عملتِ ؟

قالت :

ــ أنقذتُ طفلاً من الموت . أخرجتُه من أرض الدماء والدموع ... أُنظُرْ . إنَّ له وجهَ ملاك !

تفرَّسَ رجل القمر في الولد وقال :

ــ سأجعلُه نجمةً أُخرى تُقيم بجانبكِ ، وأُسمِّيها « تارا » . وأجعلها مثلك نجمةً شديدة اللمعان ، باهرة المنظر .

*

إذا نظرتُم ليلاً إلى القبَّة الزرقاء ، ورأيتم نجمتين متشابهتَين تلمعان لمعاناً شديداً ، وتجاورُ

إحداهما الأخرى ، فهما النجمتان « مارا » و « تارا » ، النجمةُ الأمُّ والنجمةُ الطِفلة . إنَّهما جارتان لا تفترقان ، تلزَمان مكانَهما في السماء ، ولا تفكِّر أيٌّ منهما في الرجوع إلى الأرض .

اليَاقوتَةُ الحَمْرَاء

في « صنعاء » ، عاصمةِ بلاد « اليَمَن » ، كان السكّان يتهيّأون للاحتفال بتنصيب الملِك الجديد .

ألملكُ يدعى « باذان » ، وهو من أصل فارسيّ . أقام جدودُه في « صنعاء » وحكموا « اليَمَن » ، أو « العربيّةَ السعيدة » ، التي كانت في ذلك الحين تابعةً لمملكة « فارس » . وقد عاش « باذان » في كَنَف اليمنيّين ، وتخلّق بأخلاقهم ، وتكلّم لغتهم ، كما فعل جدودُه من قبلُ ، حتى أصبح كواحدٍ منهم ، يبادلهم

الحُبّ والوفاء .

أهلُ البَلاط الملكيّ منهمِكون في إعداد الحفلةِ التي يُتوَّج فيها « باذان » ، فيُلْبَسُ الملكُ الأثوابَ الحريريّة المزخرَفة ، والرِّداء الملكيّ المزيَّن بريش النَّعام ، ويوضَع على رأسِه عِمامةٌ فوقَها تاجٌ من ذهب ، ويتقلَّد سيفاً مرصَّعاً بالجواهر . وفي قصر « غُمْدان » ، المؤلَّف من عَشْر طبقاتٍ يتراكم بعضُها فوق بعض ، كانت الأنوار تتلألأ ، وتُقام الزِّينات ، وتُهيّأ الموائد وقَماقم العُطور .

ألملكُ الشابُّ جالسٌ في مَقصورتِه المزيَّنة بالرِّياش ، يَطلب الراحةَ والخَلوةَ بجانب أُمّه « أُرجُوان » ، وهي امرأة حكيمةٌ فاضلة ، كانت تَعلم أخبار الماضين ، وتتكهَّن بأحوال الغد وأسرارِ المستقبَل . وكثيراً ما كان « باذان » يخلو بها مُصغِياً إلى

أخبارها ونَصائحها . وقد راقه أن يُنفِق بقربها ساعةً هانئة ريثما يحِلُّ فجرُ اليوم الذي يبدأ فيه حياةً جديدة .

حدّثته أُمُّه عن أجداده الفُرس ، وعمَّن سبقَهم من ملوك « اليمن » . قالت إنّ الأحباش — الذين جاءوا من بلاد « الحَبَشة » الواقعة في شرقيّ « افريقيا » وغربيّ « اليَمَن » — حكموا هذه البلادَ قبلَ الفُرس . كان أوّل قوّادهم « أرياط » ، الفارس الطويل القامة ، الجميل الوجه ، الذي ثار عليه خصمٌ له من الأحباش يُدعى « أبرهة » ، فانقسم الجيش بينهما ، واستطاع « أبرهة » أن يقتل « أرياط » وينفرد بالمُلك .

كان في « صنعاء » معبدٌ لكوكب الزُّهَرة ، ثالث آلهتِهم المؤلَّفة من الشمس والقمر والزُّهرة . وكان في المعبد ياقوتةٌ حمراء بحجمِ البيضة ، عظيمةُ الثمَن ، باهرةُ اللمعان ، تملأُ المعبد نوراً فتُغنيه عن المصابيح .

وقد اختلسها « أبرهة » وعلّقها في تاجه لكي يبهر بها الناظرَ ويرهبَه فيرتدَّ عنه طرْفُهُ كليلاً ، عاجزاً عن النظَر . وصارت الياقوتة بعدَه في حَوزة ابنه « يكسوم » ، ثم ابنِه الآخر « مسروق » .

أمّا اليمنيّون فقد نَقَموا حُكمَ الأحباش عليهم فتنادَوا للثورة . وتزعّم حركتَهم واحدٌ من أشراف « اليمن » اسمُه « مُرّة ذو يَزَن » ، وكان رفيعَ الهِمّة ، صادقَ العزيمة. سافر إلى بلاد « فارس » طالباً من الملِك « كسرى » أن يُنجده على الأحباش . لكنّ « كسرى » ماطلَه في الجواب ، حتى يئِس الرجل منه ومات في طريق عَودته إلى « اليمن » .

كان « لمُرّةَ » ولدٌ شابٌّ يُدعى «سيف» ، وكان بينه وبين « مسروق » الحبشيّ عداوة : « فمسروق » هو أخو « سيف » من أمّه التي انتزعها « أبرهة » من

زوجها واتّخذها زوجةً له ، فولدت له « مسروق » . وكان اليمنيّون ما زالوا يتحفّزُون للثورة على الأحباش ، فصحّ عَزْمُ « سَيف بن ذي يَزَن » على الرحيل إلى « كسرى » مطالباً إيّاه بوفاء وعده لأبيه ؛ فإذا استجاب له « كسرى » أمكَنَه أن ينتقم من الأحباش الذين أذلّوا والده وأهانوا أمّه وأغضبُوا شعبَه .

تزوّد « سيف » للرِحلة ، وركب جواده وسار به يقطع المسافاتِ الطويلةَ التي تفصِل « اليمن » عن « فارس » . وفي طريقهِ عرّج على « الحيرة » ، المدينة العظيمة ، حيث كان « النُّعمان بنُ المنذر » عاملَ الفرس وأقربَ المقرّبين إلى « كسرى » . فطلب منه « سيف » أن يتوسّط له عند « كسرى » ، فرضي « النُّعمان » بالوَساطة . وحين بلغ الرجلان عاصمةَ ملوكِ الفرس دخل « النُّعمان » البلاطَ يرافقه « سيف » ، فرأى الملكَ

الفارسيّ على عرشهِ الذهبيّ الموشّى بالرسوم، تتدلّى فوقه ثُريّاتٌ من فِضّةٍ وذهب، على رأسه تاجُه المرصَّع بالزُّمرُّد والياقوت واللؤلؤ، وحوله رجالُ دولته في ملابسَ سابغةٍ برّاقة. فاستولى الخوفُ على «سيف»، لكنّ «النُّعمان» شجّعه على الكلام، فتكلّم وعرَض قضيّته.

قال «كسرى»:

ــ وما علينا أن



«النعمان» و«سيف» في حضرة «كسرى»

نغرِّر بجيوشنا ونعرّضها للأخطار في مجاهل الصحراء العربيّة؟

أجاب «سيف»:

ــ إنّ إخراج الأحباش من أرض «اليمن» مُضعِفٌ لنفوذ حلفائِهم الروم، أعداءِ دولتكم. ولَسوف تجدون في أهل «اليمن» أنصاراً وحلفاء، وفي بلاد «اليمن» أرضاً خصبة، وفيرة المحاصيل، طيّبة المُناخ.

قال «كسرى»:

ــ أحسنتَ الجوابَ أيّها الفتى، وقد أمرتُ لك بعَشرة آلاف دِرهم.

لمّا انصرف «سيف» من حضرة الملك أخذ يَنثُر على الناس المالَ الذي تلقّاه من «كسرى». وسمع

هذا بالأمر فتعجَّب وقال : « لو لم تكن بلاد اليمن عظيمة الغنى لمَا أنجبَتْ مثل هذا الفتى الذي لا يُقيم للمال وزناً » .

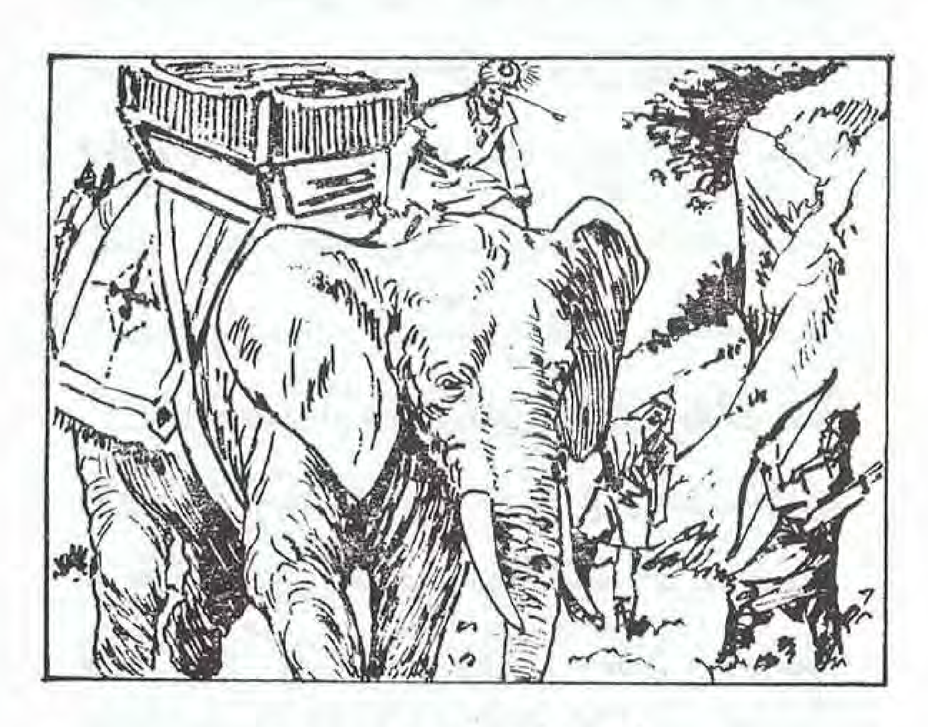
ثم قرَّ رأيُه على نَجدة « سيف » ، فأرسل معه من المحاربين الفرسِ ثماني مئة رجلٍ كانوا في سجون البلاد ينتظرون الموتَ ، فعبَّأهم للحروب أملاً بأن يتخلَّص منهم .

سافر المحاربون برفقة « سيف » في ثماني سُفُن غرق منها اثنتان . ولمّا بلغوا « اليمن » انضمَّ إليهم من السكّان خَلْقٌ كثير . وحمَل الجميعُ على جيش الأحباش ، يقودهم رجلٌ فارسيّ ، ماهرٌ في الرِّماية ، يُدعى « وَهزَر » .

كان « وَهزَر » في مقدّمة الجيش المحارب ، فأبصر القائدَ « مسروق » راكباً على فِيل حبَشيّ ، وفوق

جبينِه تاجٌ فيه ياقوتة حمراءُ تلمع كالشمس التي يَبهَر نورُها الأَبصار . فأمسك « وهزر » قوسَه وأطلق سهمَها على جبين « مسروق » ، فأصاب السَّهمُ الياقوتةَ وتغلغل في دماغه ، فوقع على الأرض صريعاً .

وانتشر الذعر في جيش الأَحباش ، فتفرَّقوا



السهم يخترق جبين « مسروق »

وانهزموا . وصار « سيف بنُ ذي يَزَن » حاكماً على « اليمن »، فأَخذ الياقوتة التي كانت في حوزة « مسروق » وعلَّقها فوق جبينه . وتتبَّع الأَحباشَ فقتل منهم خَلقاً كثيراً ، وجَعَل مَنْ بقي منهم عبيداً له ، يسعَون بين يديه وفي أيديهم الحراب . ولم يَطُلْ حُكمُه إذ تمكَّن الأَحباش من الاختلاء به في رحلةِ صيدٍ فقتلوه . وصار الحكم بعده في أيدي أجداد « باذان » .

*

هنا توقّفت أمُّ « باذان » عن الكلام وأطلقت نَفَساً طويلاً . ثم مدَّت يدها إلى دُرْجٍ في إحدى خزائن الغرفة ، ففتحته وأخرجت منه الياقوتة الحمراء ، فسطع نورُها وملأَ الغرفة . ودُهِش « باذان » ، وشعر بجاذِبٍ غريب يجذِبه نحو الياقوتة ، ومدَّ يده

يُريدُ أخذَها .

لكنّ أمّه قالت :

ـ لن أُعطيَك الياقوتة يا بُنَيّ . أتعلم أنّها مصدر شؤم لِمَن يَملِكها ؟ هذه الياقوتة قتلت « أبرهة » ، وابنَهُ « يكسوم »، وابنه الآخر « مسروق »، ثم قَتَلت سليلَ الأشراف « سيف بنَ ذي يَزَن » . قتلتهم جميعاً لأنّهم اختلسوها من معبد الزُهرة ، وتسلَّمَها حكّامُ الفرس فسلّموني إيّاها وديعةً أُحافظ عليها وأصونُها من طمع الطامعين . أُريد أن أسلّمك إيّاها يا بُنيَّ لتُعيدَها إلى معبد الزُهرة ، وتجنّبَ نفسَك غضبَ الآلهة وانتقامَها . أفهمتَ قولي ؟

كان « باذان » يَنقُل نظره بين أُمّه والياقوتةِ الحمراء ، وفي ذِهنه يستعيدُ الحديثَ الطويل الذي

أفضت به إليه . أخيراً رَفع رأسه وقال :

ـ إنّي أحترم رأيك يا أُمّاه ، وأُكُنُّ لكِ إعجاباً وامتناناً لا حدَّ لها . لكنّي فهمت من حكايتك أشياءَ ربّما فاتكِ النظرُ إليها . ليست الياقوتة هي التي قتلت هؤلاء الملوكَ الذين روَيتِ لي أخبارَهم . وإنّما قتلهم ظلمُهم للشعب ، واستهانتُهم بحقوق الناس وحرّياتِهم . لأنّ الظلم عاقبتُه وخيمة ، والشعب لا ينام طويلاً على الضَّيم .

سكتت الوالدة برهةً ، ثم سألت :

ـ وماذا أنت فاعِلٌ بالياقوتة ؟

أجاب « باذان » :

ـ لقد هداني الله إلى دين التَّوحيد ، وحرَّم عليَّ عبادةَ الأوثان والكواكب . وفي رأيي أن

أَبيع الياقوتة إلى « كسرى » الفارسيّ ، وأُنفقَ ثمنها في ما يُصلِح أحوالَ الشعب ويمنحُه سعادةً وأمْناً .

لم تُجِب الأمُّ ، لكنّ قلبها كان يَفيض حناناً ، ويهمِس بكلماتِ البرَكة والدعاء .

جَزَاءُ "سِنِمَّار"

جلس « النُّعمان » مَلِكُ « الحِيرَة » في شُرفـة القصر الجديد الذي دعاه « الخَوَرْنَق » ، وقال فيـه الذين شاهدوه إنّه من عجائب الدنيا . جلس يتأمَّلُ عظَمةَ بِنائه وارتفاعَ أسواره وما على جُدران باحاتهِ من زَخارِفَ ورسومٍ عجيبةٍ . ثم خاطب نفسه قائلاً : « لقـد جُبتُ الأَقطارَ ، وهَزَمتُ الجيوشَ ، وربحتُ المعارك . لكنّ أعظمَ ربحٍ أصبتُه هو هذا القصرُ الذي أنفقتُ في بنائه شَطراً كبيراً من عمري » .

وقد تسألون : من هو « النُّعمان » ؟ ومـا هي «الحِيرة» ؟ وما هو القصرُ المَدعوُّ « بالخَوَرْنَق » ؟

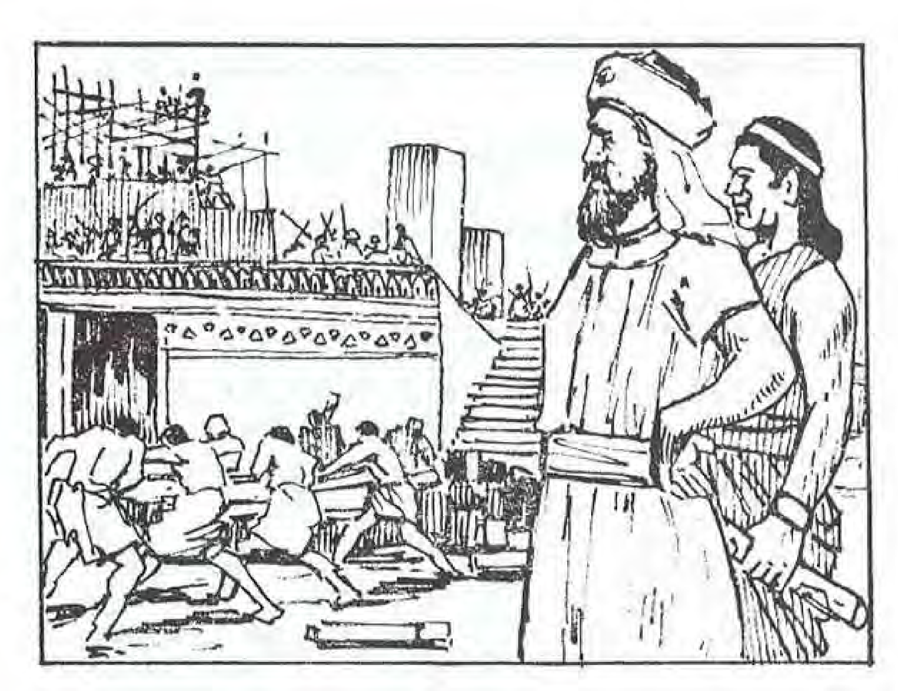
« النُّعمان » هو أحدُ الملوك الذين دُعوا «المَناذِرة» نِسبةً إلى « المُنذِر » أحدِ جدودِهِم . وكانوا يُسَمَّون أيضاً « بني لَخْم » ، و « بني نَصْر » ، لانتمائهم إلى هاتَين القبيلتَين . وقـد نزحوا إلى « العراق » من جنوبيِّ «جزيرة العرب» حيثُ تقع بلادُ « اليَمَن » وبلدانٌ أُخرى تجاورها . أمّا « الحِيرةُ » فكانت ،في ما مضى، مدينةً عظيمة تقع على ساحل « الفرات» الغربيِّ من بلاد « العراق » المجاورة لبلاد « فارس» («إيران» اليوم) .

و« النُعمان » هو أوّلُ من دُعي بهذا الاسمِ من ملوك « الحيرة » . إشتهر هذا المَلِك ببطشه وغَزَواته التي قضى بها على القبائل المعادية له ، وغَنِم منها الغنائم .

كانت تربِطُ « الحيرة» ببلاد « فارس » عَلاقاتٌ

وديّة ؛ فالملك « النعمان » كان عامـلاً وحليفاً لملك الفُرس « يَزدَجِرْد » ؛ يُرسِل هـذا إليه الجيوشَ فيضمُّها إلى جيشه ويحارب أعداء « يزدجرد » ، ويَرُدُّ عن بلادهِ غارات البَدْو . وبلَغ من إعجاب «يزدجرد» « بالنُعمان » أنْ سلَّمه تربيةَ ابنِه « بَهرام » ، وليِّ عهدِ المملكة الفارسيّة . فعلَّمه العلومَ ، وأكسبَه مَهـارة العرَب في الفُروسيّة والقتال . وكان « النعمان» مُولَعاً بالبنـاء ، فعزَم على أن يبنيَ « لبهرام » قصراً لا مثيلَ له بين القصور ، يقيمُ فيه هذا الفتى الذي أحبَّه كواحدٍ من أبنائه .

وما لبث أن دعا المهندسين والبنَّائين وأخبرهم بعَزمه . فأخذ يأتيه كلَّ يومٍ واحدٌ منهم ، فيَشرَعُ في البناء والملكُ يراقب عملَه ، فإذا وجدَ أقلَّ شَبَه بين بنائه وبناءِ آخرَ عَمَد إلى هَدْمِه ، وصَرَف



« النعمان » و « سنمّار » يراقبان البناء

المهندسين والبنّائين من غيرِ أن يُعطِيَهم بَدَلَ أتعابِهم .

ظلَّ الحالُ على هذا المِنْوالِ ، والملِكُ بينَ هَدْمٍ وبناءٍ ، حتى قَدِمَ « الحِيرةَ » مهندِسٌ روميٌّ اسمُه « سِنمَّار » ، فقال للملِك :

ــ أنا أبني لك قصراً على غيرِ مِثالٍ سابق .

فسُرَّ الملك ، وشرع « سنمّار » في العمل . وبنى القصر من حِجارةٍ مختلفةِ الألوان ، وجعَلَه مؤلَّفاً من عَشْرِ طَبَقاتٍ ذاتِ أعمدةٍ وتيجان ، وعلى جُدرانه الداخليَّة رسومٌ مصنوعة من الفُسَيفِساء ، أي الحجارة الصغيرة الملوَّنة .

صَعِد الملكُ إلى سطح القصر في زنبيل يُرفَع بحبال من لِيف ، ونظر إلى أعلى ، فخُيِّل له أنَّه يستطيع قَطفَ النجوم بيدَيه ! نظر إلى الجَنُوب فرأى البحر والحيتانُ تسبح فيه . وإلى الجانب الآخر رأى الصحراءَ الممتدَّة حيث الظِّباءُ وحُمُرُ الوَحْش . وفي الجانب الغربيّ شاهد بساتينَ سَوادِ « العراق » ، أخصبِ بقاع الأرض . فتعجَّب وقال :

« ما رأيتُ مثل هذا قط » . ثم نَزَل إلى المقصورة المُعَدَّةِ للجلوس ، ودعا « سنمّار » فهنّأه بنجاحه . أمّا « بهرام » فكاد يطيرُ من فرحه ! وكانت قد توطّدت عُرى الصداقة بينه وبين « سنمار » ، فأكَبَّ على عُنُقِه يقبّله ويقول :

ـ أنت أعظمُ بنّاء في العالَم !

*

فيما كان الملِك جالساً في قصره يُريد الراحة إذ دخل عليه الحاجبُ ، وقال له إنّ بالباب رجلاً يطلب مقابلته .

دخل الرجلُ الغريب على الملِك فحيّاه بتحيّةِ المناذرة وهي : « أبيتَ اللَعْنَ » (أي ليَبعُد عنك اللَعْن) ، ثم قال :

ـ إنّ القصر الذي بناه لك « سِنمار » قديمُ الطِراز ، نقَلَهُ عن قصرٍ بَنَيتُه في مدينة « صنعاء » . وإن شَكَكْتَ في صِحّةِ قولي فما عليك إلاّ أن تزور « صنعاء » وتُعايِنَ القصر الذي أشرتُ إليه .

لكنّ الملك استبعد زيارة « صنعاء » وقال :

ـ لستُ مستعِدّاً لقطع المسافات الطويلة لأتبيَّن صِحّة دَعْواك .

قال الرجل :

ـ دَعْهُ يبرهن لك أنّ هذا القصر بُنِي على غيرِ مثال .

فدعا الملك « سنمار » وقال له :

ـ إنّ هذا الغريب يدَّعي أنّك نقلتَ عنه

هندسة القصر . فماذا تقول ؟

قال « سنمّار » :

ـ أتحدّى هذا الرجلَ بأن يَكشِف عن موضعِ آجُرّةٍ في القصر إذا انتُزِعت من مكانها تهدَّم القصرُ كله .

قال الرجل الحاسِد :

ـ وَيْحَكَ ! إذا كان الأمرُ كما تقول ، فإنّ حياة سكّان القصر في يدَيك ، تُهلِكهم حين تشاء !

قال « سِنمار » :

ـ لن أفعلَ هذا ما دام لي ضميرٌ يَرْدَعُني عن الشرّ .

لكنّ « النُعمان » ظلّ يُوجِس شرّاً من « سنِمّار » ،

ويخافُ أن يقضِي عليه . فأمر بأن يُلقَى به من أعلى « الخَوَرْنَق » ، فأُلقِي وقُتِل .

*

كان « للنعمان» وزيرٌ فاضلٌ يَثِقُ به كلّ الثقة ، فجاء يوماً إلى الملك لابساً ثياباً خشِنة كثياب النُسّاك ، وأعلمه بأنّه يريد اعتزالَ وظيفتِه والسياحةَ في الدنيا .

قال الملك :

ـ وما يَدفعُك إلى ترك « الحِيرة » ؟

قال الوزير :

ـ أهْرُبُ من رائحة الدماء . ألا تشمُّها أيُّها الملك ؟

فنَكَسَ « النعمان » رأسه وقال :

— بلى . ولكنْ ما حيلتي في ذلك ؟

قال الوزير :

— نذهب معاً .

من ذلك الحين أخذ الملك يَشُمّ رائحة الدماء كلَّما دخل القصر الذي بناه « سنمار » ، فصمَّم على هجر « الحيرة » . وللحال لبسَ خشنَ الثيابِ ، وحمل على كتفه جِراباً يحتوي زادَه ، وساح في الدنيا هو ووزيره ، تاركاً الحكمَ لابنه « المُنْذِر » .

في أثناءِ سيرهما جلس الملك تحت شجرةٍ وغلبه النعاسُ ، فنام . رأى في الحُلم طائرَين يَقتَتِلان ، وإذا بأحدِهما يَصرعُ الآخرَ ثم ينبُشُ حفرةً يَدفِنُه فيها . ولمح الملك في عينَي الطائر المجرم علاماتِ الذُّعر والندَم ، ثم رآه يَجثُمُ حزيناً باكياً فوقَ قبرِ رفيقه . وبعد قليلٍ رآه يطير نحو

شجرةٍ قريبة ويَحتَضِن فِراخَ الطائر القتيل !

أخذ الملك يفكّر في معنى الحُلم ، وأخبر به رفيقَه، فلم يستطِع له تفسيراً . ثم واصلا سَيرَهما حتى بلغا أرضاً بعيدةً عن « العراق » ، فمكثا فيها . وحين استأنفا المَسيرَ بلغا ضاحيةَ إحدى المدُن ، فجلسا يستريحان .

تبيَّن لهما عن بُعدٍ أنّ في المدينة



« النعمان » يحلم ...

حركةً غيرَ عاديّة ، وبلغت مسامِعَهما أصواتُ عِراكٍ وقتال .

مَشَيا إلى حيثُ كانت جماهيرُ الناس تحتَشد عند المدينـــة . نظر الملك إلى الجمع ، فإذا « بهرامُ بْنُ يزدِجرْد » ، « بهرام » الذي ربّاه حتى بلـــغ مَبلغَ الرجال ، يخرج من المدينة ومعـه شِرذِمةٌ لا يجاوز عددُ رجالها العشرين ، والناسُ خلفَه يدفعونه بالعِصِيّ والِحراب ، وهو يَجري راكضــاً ، حاسرَ الرأسِ ، أعْزلَ ، ليس لديه مـــا يتّقي بـــه شرّ أولئك المطارِدين !

جزِع الملكُ على رَبيبه أشدَّ الجزَع ، واقترب من الجمع يَستخبرُ من بعضهم عمّا حدَث ، فقيل له إنّ أهل « فارس » ثاروا على « بهرام » وأرغموه على الفِرار لأنّه نشأ بين العرب وتخلّق بأخلاقهم . وقد

نَصَّبُوا مكانه أمـــيراً آخرَ . وإنّ « بهرام » يريد أن يستنجد ببعض حلفائه على الذين اغتصبوا مُلكَه .

أخذ « النعمان » يفكّر قائلاً : « هربتُ من دماء رجل واحد . وتركتُ ورائي غيوماً تتلبّد وتُنذِر بأسوإ الأخطار » .

أقنع الملكُ وزيره بالعودة إلى « الحيرة » حيث كان ابنُه الفتى يَقضي معظم وقتِهِ في الصيد واللّهو ، غيرَ ملتفتٍ إلى ما يجري في أرض حلفائه .

ولمّا دخل على ابنه وبّخه على تهاوُنه في نَجدة « بهرام » ، وجمع حولَه من سكّان « الِحيرة » ومـــا جاورها جيشاً كالحصى عَدَداً ، لم يجتمع مثلُه لأيٍّ من الملوك ، وسار به إلى بلاد « فارس » يرافقه ابنُه ووزيره .

حين بلغ مَشارفَ البلاد أمر جيشه بتطويق المدينة التي كان فيها الملكُ الجديد . فدبَّ الذعر في السُكّان ، ولكنّ الملك « النعمان » طمأنهم قائلاً :

ـ أمنحُكُم الأمان شرط أن تُعيدوا إلى « بهرام » عَرشَه .

فأطاعوا من غير إبطاء .

وكان ابنه « المُنذِر » فتًى متهوّراً ، نَزِقَ الطِّباع، فأراد تأديب العُصاة بالسَّجن أو بالقَتْل ، لكنَّ أباه منَعَهُ قائلاً :

ـ ألصَّفحُ أليق بالملوك .

*

حين عاد « النعمان » إلى القصر الذي أحبَّه كانت رائحة الدماء قد فارقَتْه . فَلَزِم ابنَه يُرشِدُه ويُسعِفُه

على تدبير شؤونه . وتراءى له أنّ دماء « سِنِمّار » لم تذهب هَدْراً . وفهم معنى الُحلم الذي رأى فيه طائرين يصرعُ أحدهما الآخر ثم يبكي فوق جُثَّتِه .

فَـرْحَـةُ اللِّقَــاء

« أمُّ هـاني » جالسة على كرسيِّهـا في زاوية من الغرفة ، تنظر حيناً إلى ابنها « هاني » ، وحيناً آخرَ إلى الشمس المُوشِكةِ على الغروب ، ويداهـــا لا تنقطعان عن تحريك الصِّنَّارة التي تَحُوكُ بهـــا قميصاً من الصوف .

لقد حتَمت على نفسهـا أن تنتهي في هـذا اليومِ من صنع القميصِ التي ستبيعها غداً في سوق المدينة ، مع قمصان أُخرى جاهزة ، لتشتريَ بأثمـانهـا حاجاتٍ ضروريّةً قبل حلول العيد .

منذ أن وُلِد لها هذا الصبيُّ ، أي منذ إحدى عَشْرة سنةً ، لزِمَت المرأةُ بيتها ، تقوم بأعمال المنزل وتحوك الصوفَ لتعتاش من بيعه هي وابنها .

حين وُلِدَ هذا الولدُ حَسِبَتْ قدومَه بَركَةً وَسعْداً ، لكنّه جاءها بمصيبتَين : فقد وُلِدَ كسيحاً لا يقدر على المشي ، وذهب أبوه في رِحلة لم يرجِع منها . فاضطُرَّت المرأةُ إلى القيام بدور الأب المُعيل للأُسرة ، ودورِ الأمّ التي تقوم بخدمة ابنها وتربيته .

قال لها الطبيب إنّ الولد ضعيف البنية ، يحتاج إلى هواء البريّة الذي يستطيع أن يقوّي عظامه وينشّطَ أعصابه . فانتقلت به الأمُّ إلى بيت في ضاحية المدينة ، قريبٍ من الصخور والأحراج الكثيفة . كان البيت صغيراً لا يتّسع لسوى شخصين ، لكنّ الأمّ أحسنت ترتيب الأثاث ، وجعلت حول البيت حديقةً مسوّرة كانت تزرع فيها أنواعَ الخضار والزهور ،

والنباتات المعرّشة التي طوّقت جدران البيت ، فدعَتْه « الكوخ الأخضر » .

فرح « هاني » بالكوخ الأخضر ، وطابت نفسُه بمناظر الأحراج والصخور ، وظهرت في وجهه علاماتُ الانتعاش . ولكنّه ظلّ ملازماً مقعدَه ، غيرَ قادرٍ على المشي .

وازداد « هاني » فرحاً وسعادةً يوم جاءته أمُّه بكلبٍ أبيضَ صغيرٍ ، شديدِ المرح والذكاء ، يُدعى « زرزور » . كان يجلس قربَه على المقعد ، يقفِز ويلعب ويقوم بحركات عجيبة يَطرَبُ لها « هاني » .

أصبح الولد والكلب صديقَين لا يفترقان : إذا أراد « هاني » حاجةً قال لكلبه أن يأتيه بها ، فيقول له مثلاً : « يا زرزور ، هاتِ البالونَ لنلعب

به معاً » ، أو « هاتِ لي المحرمـــة » ؛ أو : « هاتِ لي رغيفَ خبزٍ لأنّي جائع » . فيفهم الكلب ويأتيه بما يُريد . فإذا جاء المساء نام مطمئنّاً عند قدميه .

كان « زرزور » يغيب أحياناً عن البيت ليذهب إلى الأحراج القريبة ، ويعود حاملاً إلى صديقه هديّةً من هنـــاك . جاءه مرّةً بسُلَحفاة صغيرة فَرِحَ بها « هـاني » . ومرّةً جاءه بفَراشة ملوَّنة ،

الطفل يداعب كلبه

ومرّة أخرى بزيزٍ ذهبيّ ! وكثيراً ما كان يعود حاملاً عِيدانَ حطبٍ للتدفئة ، أو غصن زعرور برّي ، أو حفنةَ بلُّوطٍ يُشوى على النار ويؤكل مثـل الكستنا .

حين يغيب « زرزور » ينتظر « هاني » رجوعه بقلق ... ماذا يعمَل الآن ؟ متى يعود ؟ هل يَحدُث له حادث في الطريق ؟

فإذا رَجَع « زرزور » قال له : « إبقَ هنا . لا تذهب بعدُ إلى الأحراج ! »

لكنّ « زرزور » يُحِبّ الخروج ليشمّ الهواء ، وليأتي صديقه بأشياءَ جديدة.

قُبَيلَ يوم العيد باعَت الأمّ الأصواف التي حاكتها ، واشترت بعض الهدايا . وخرج « زرزور » ليهيّىء « لهاني » هديّة العيد . مرّ النهار ولم يَعُد

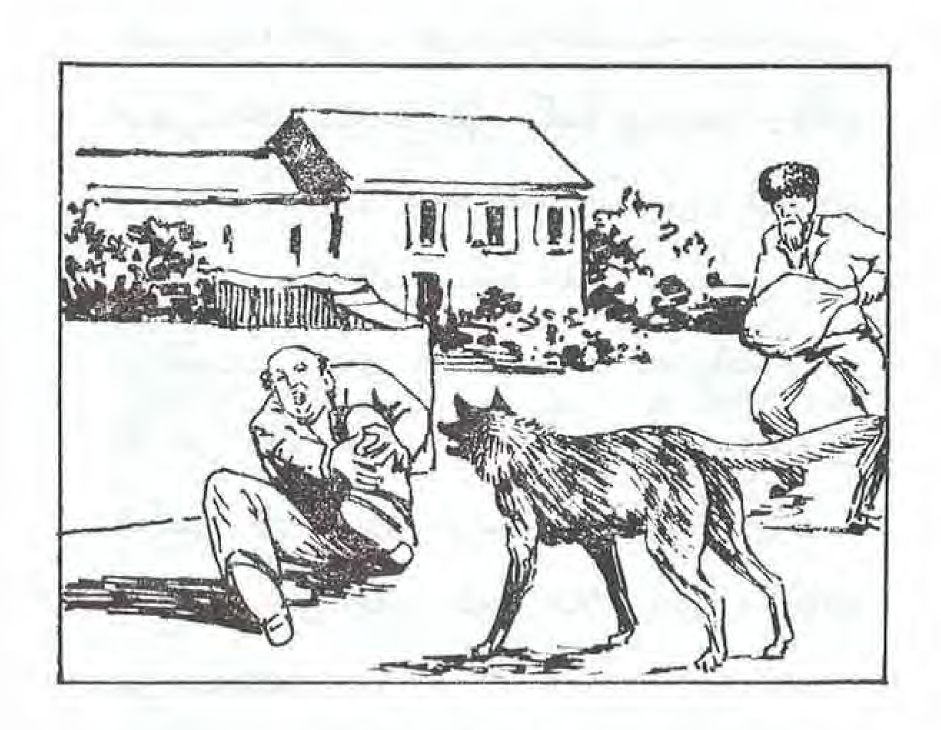
« زرزور » ... ماذا حدث له ؟

أخذت الأمُّ تفتّش في الحديقة ، في الأماكن القريبة ، تنادي فلا يجيبها أحــد . أين ذهب « زرزور » ؟..

كان راجعاً من الأحراج ومعــه أرنبٌ برّي صغير ، فلقيَه ولدٌ شرّير يدعى « سامر » ، وحمله هو والأرنب إلى بيته . وهناك ذبح الأرنب وطبخه وأكله ، وحبس « زرزور » في قفص ، وكان يُطعِمه ويَسقيه صباحاً ومساء .

جلس « زرزور » في القفص حزيناً ، يبكي وينتحب ، وأخذ يفكّر في حيلة للخروج.

وفيما هو كذلك ، رأى « سامر » خارجــاً من البيت . فقام إلى باب القفصِ وأخذ يَعَضُّه بأسنانه



الكلب يهاجم اللصّ

حتى كسره ، ودفع الباب برجليه وراح يركض.

لكنّه ، قبل رجوعه إلى الكوخ الأخضر ، قال : « يجب أن أجد لهاني هديّة ... مـاذا أعمل ؟ أين أجدها ؟ »

وإذا به يصادف في طريقه شيخاً ذا لحية بيضاء ،

يلبَس رداءً أحمرَ ، على رأسه قُبَّعةٌ محاطة بفروٍ أبيضَ ، يحمِل على ظهره كيساً فيه هدايا . وكان وراءه لصٌّ مخيف يُريد خطف الكيس ، فهجم « زرزور » على اللصّ وأخذ يخمِشه ويَعَضُّه في يدَيه ورجليه ، حتى تخدَّش وسال دمُه وانطرح على الأرض فاقدَ الوعي . فتمكّن الرجل حاملُ الكيس من الهرب ، ولكنّه ، قبل أن يهرب ، وضع في عُنق الكلب طوقاً جميلاً ، لمَّاعاً ، ليكافئه على مساعدته .

جاء يوم العيد : كانت « أمُّ هاني » جالسة بجانبه ساكتةً ، وفي قلبها حُزنٌ تحاول تَبديده بالصلاة . و « هاني » في مقعده حزينٌ لغياب « زرزور » ... أمامه لُعَبٌ لا يَمُدُّ لها يداً ، لأنّه لا يجِد مَن يشاركه في اللَعِب واللهو .

وإذا بباب الحديقة ينفتح ، ويدخل « زرزور » راكضاً ، وفي عُنقهِ طوقٌ تلمع فيه جوهرةٌ حمراء !

صاح « هاني » : « آه ! » وغَمرَهُ الفرح ، فقام واقفاً على رجليه ، وأَخذ يمشي ليلاقي « زرزور » !

★

من ذلك الحين صار يمشي مثلَ باقي الأولاد ويشاركهم في اللَّعب . وبعد أن باعت أمُّه الجوهرةَ بمال كثير ، اشترَت له ملابسَ جديدةً ، وأرسلته إلى المدرسة ، يرافقه « زرزور » وفي عُنقِه طَوقٌ من ذَهب .

قال « هاني » لأمّه :

— شُفيتُ لشدَّة فرحي برجوع « زرزور » !

وقالت الأمّ :

— سمع الله لي لأنّي صلّيت يومَ العِيد . هٰذه بركةُ العيد !

الأسئلة

١ – النجمتان

١ – صف رَجل القمر .

٢ – ما حكاية الطفل الملقى على صخرة في الجبل ؟ وكيف أنقذته « مارا » ؟

٣ – لماذا لا تفكّر أيّ من النجمتين في الرجوع الى الارض؟

٢ – الياقوتة الحمراء

١ – ما الذي روته أمّ « باذان » لولدها من تاريخ « اليمن » ؟

٢ – ماذا كان جواب الأمير حين حذّرته أمّه من الياقوتة الحمراء ؟

٣ – أيّ خرافة تهاجمها القصة ، وأي فكرة تدعو لها ؟

٣ – جزاء « سنمار »

١ – هل كان الوزير يشمّ حقيقةً رائحة الدماء في القصر ؟ أم انه أوهم الملك ذلك ؟

٢ – ما مغزى الحلم الذي رآه الملك ؟ كيف كفّر عن ذنبه ؟

٣ – لماذا لا يُعَدّ التنسُّك ولبس الخشن من الثياب تكفيراً؟

٤ – فرحة اللقاء

١ – لماذا كان « هاني » سعيداً في الكوخ الأخضر رغم عجزه عن المشي ؟

٢ – ماذا حدث للكلب ذات يوم ؟

٣ – ما هي في رأيك الأسباب التي أدّت إلى شفاء الولد ؟

٥ – الجزيرة المسحورة

١ – لماذا تحوّل الأمير « ناجل » عن حياة الخمول ورغب في العزلة والعمل في الأرض ؟ أُذكر جميع الأسباب .

٢ – صف شخصية « لالا » .

٣ – في الحوار الذي جرى أخيراً بين « ناجل » و « لالا » كيف تستدلُ : اولاً على ذكاء الفتاة وسرعة خاطرها، ثانياً على توبتها وتبدُّل طباعها ؟

٦ – عافاك عافاك

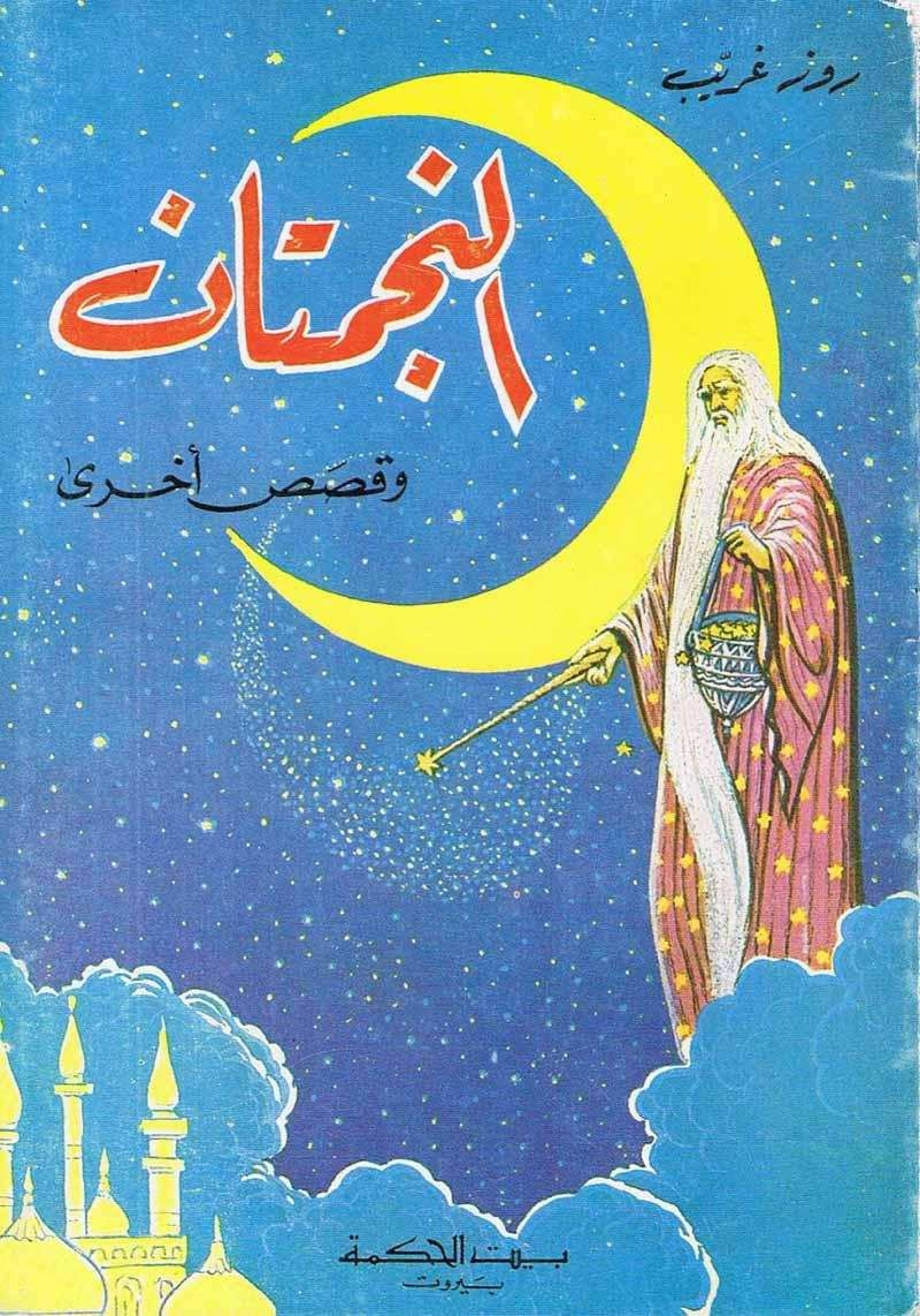
١ – لماذا اشارت المرأة على زوجها بأن تحمل الى الملك السمكة الثانية والثالثة مع انه لم يُعطِ الزوج أي ثمن ؟

٢ – أي حيلة لجأت اليها المرأة لتُرغم الملك على الدفع ، ولماذا اضطُرّ الملك الى دفع أثمان السمكات ؟

محتوى الكتاب

وكان الفراغ من طبع هذا الكتاب في
يوم ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٩٦
على مطابع دار غندور ش.م.م.
بيروت

١٩٩٦ - ٩ / ٢٦٧


روز غريّب
النجمتان
وقصص أخرى
بيت الحكمة
بيروت